# الفستان

قهوتي اليوم .. عزف منفرد عابث على تنويعات لحن الفراق .. اللحن الذي أجبرتني الأيام على عزفه منفردة .. مرتدية ذاك الفستان الذي ارتديته يوم لقاءنا الأخير .. أنظر للون حبات البن وأشعر بها كئيبة لأول مرة بحياتي .. جميلة ولذيذة المذاق لكنها كئيبة اللون للغاية.

لا أملك القدرة على غسل الفستان حتى اليوم .. وكيف لي أن أفعل .. رغم مرور أيام كثيرة على احتواءك به والتصاق رائحتك بخيوطه .. تمر عليه الأيام .. يوما بعد يوم .. أتحسسه كل يوم وأعانقه وأشتم رائحتك به .. رائحتك أنت .. لا رائحة عطرك ولا أي شيئ آخر .. رائحة جسدك الذي لاصق جسدي بتلك اللحظات في عناق أعاد لروحي بعضاً مما فقدته من قبل ثم سلبها كل شيئ بعدها بغته .. بت أعانق الفستان كل يوم وأتنفس رائحتك به متلمسة لبعض من حب .. من حياة .. لبعض من

رقة بقلب عصفت به الأقدار فمزقته اشلاء .. بات الفستان والرائحة هو السلوي والسلوان لقلبي الضعيف.

أستمع لأغنية بائسة .. تقول "قلبي علينا .. افترقنا حين التقينا" تقتلني هي الأخرى وتعزف بداخلي على لحن الفراق الكئيب .. أتناول قطعة شوكولا داكنة كنت قد أحضرتها لي في ذاك اليوم .. ما بالي آكل وأستمع للموسيقى وأتظاهر أن كل شيئ بخير .. أرى أنه علينا أن نفخر بأنفسنا حقاً .. أن نُشهد الأيام بأننا أبطال مقاتلون بتلك الحياة .. أننا ذوي ثبات انفعالي جبار نستقبل طعنات الحياة وخذلان الروح والقلب بإبتسامة تسليم ونتحدث عن البورصة والبراندات الأوروبية وخرائط الطرق بينما أيدينا تضغط على الجُرح بشدة كي نوقف النزيف .. ننام ونصحو ونأكل ونثرثر وربما نضحك بصوت عالٍ .. بينما لو حظينا بنظرة فاحصة كاشفة لما حولنا لروعتنا آثار النزف الذي تنزفه قلوبنا وأرواحنا بكل مكان من أثر الفقد!

لا أدري حقاً هل خانتني روحي بذلك اليوم فعجزت عن البوح بكل ما يكتنفها من عشق لا قبل لي بوصفه ولا بالحديث عنه؟ هل خانتني وعجزت وأقسمت على ألا تبوح فقد أدمنت الصمت

فعجزت عن البوح حين صار ممكناً بل وأعرضت عنه .. أم أن قلبك هو الذي أعرض وركض مبتعداً غير صابر وغير عابئ بقلبي المسكين الذي تناثر في أشلاء لا أعلم هل تجتمع يوماً ما ثانية أم أنه المستحيل بعينه؟ الوحيدة التي صدقت في هذا اللقاء كانت دقات قلبي التي كانت مجنونة عنيفة تنذر بتوقف وشيك من فرط الولع والوله والألم والمقاومة حتى لا ينهار بين يديك بلا جدوى

كل ما أعلمه هو أن نبيذي العتيق الذي يُذهب العقول بالفعل لم يكن لك .. لم يكن ليسكب في كأسك أبدا في بكائية اغريقية عجيبة لكنه القدر وانها الحياة وليس علينا الا الاستسلام والتسليم.

قد كان شغفي بك خبيئة لا يطلع عليها مخلوق بالملكوت .. قد كانت تلك النبضات المضطربة نحوك شأن داخلي لا سلطة لي عليه ولا لأحد .. كان ذاك الشوق الجارف المجنون هو خير صاحب في أيام عز فيها النوم واقتربت فيها الحيرة لتفتك بي على هيئة أسئلة لا جواب لها .. هل تحبينه؟ ولماذا؟ .. ماذا انت فاعلة بذاك الشوق وذاك اللهف؟ .. أنّى لتلك النبضات أن تهدأ ولذاك القلب ان يعود كما كان هادئا مسالما؟

تباً لهم صانعوا الأفلام .. حين كانوا يفاجئوننا بعد انتهاء الفيلم وموت البطل أو اختفاءه بلقطة فجة مصطنعة تتحرش بتطلعات القلب البائس الفاقد فيخرج شبيه للمفقود ليعيد البسمات للمتطلعين السُذج بأنه هناك فرصة أخري قد تهبنا اياها الحياة بذات الاتجاه! كم كنا سُذج متطلعون نتجاهل كل حسابات العقل وأبجديات الحياة حين كنا نبتسم ونصدق أن الروح قد تدب مرة أخرى بقلوب مختلفة الاتجاه شتتها الحياة!

تظل الحياة قائمة .. بلا أي جديد .. تمر أيامي القاتلة الخالية بدون قلبك القريب .. أعيشها كالموتى الأحياء وكل ما تبقى لي .. قهوتي .. ورائحتك بالفستان وقطعة شوكولا!

***